هدفك فى الحياة . . . ! !

الحياة رحلة طويلة أو قصيرة . وكل رحلة لابد لها من هدف وغاية ، حتى ولو كانت الرحلة للترفيه عن النفس والترويح عن البال لأن الاستجمام بعد النضال ، والراحة بعد التعب من صميم الواجب الذى يتحتم على الإنسان أن يقوم به حتى تستقيم له طريقته فى دنياه . ولكن الناس يختلفون كثيراً فى تحديد هذا الهدف ، أو قل يخطئون خطأ بيناً فى تحديد هدفهم الذى يهدفون إليه ويسعون نحوه فى تلك الرحلة الدنيوية . فمن الناس من يجعل همه فى حياته أن يأكل ويشرب ، ويطعم ويملأ أمعاءه ، ولو كان هذا وحده مأمون العواقب قليل المتاعب محتمل المصائب ، لقبلناه منهم أو ارتضيناه لهم مع مافيه من تفاهة واتضاع ، ولكن شهوة البطن تؤدى إلى شهوة الجنس ، وشهوة الجنس حينما تثور تكون جرثومة خبيثة تبلبل الذهن وتقلق الجسم وتضل التفكير ، وتدفع الإنسان إلى اجتياز مسالك وعرة فيها من الاحتيال والادعاء والشطط مالا يمكن أن يسلم معه الإنسان من عقابيل وعقابيل ! ! . .

إذن لابد للمرء من البحث عن هدف آخر يهدف إليه ويحلم به ويحرص على تحقيقه ، غير هذه الوسيلة الرخيصة وهى وسيلة الطعام والشراب والشهوة ، وهناك قليل من الناس يستطيعوا أن يرغموا دنياهم على لون خاص من الألوان ، ويصطنعون لأنفسهم هدفا معينا لعلهم لم يخلقوا له أو لم يتناسبوا معه ، وهؤلاء يبذلون من جهودهم ومحاولاتهم مايبلغون به ماأرادوا بعد قليل من الزمن أو طويل ، وبعد متوسط من الجهد أو جليل ، ولكن الكثرة الغالبة من البشر يخلقون وعندهم استعداد خاص لنوع من أنواع الأعمال ، أو ميدان من ميادين الحياة ، والنفس البشرية أشبه شيء بكون صغير قد انطوى فيه ماانطوى فى ذلك الكون العريض الوسيع من مختلف المواهب والهبات والنوازع ، ولكن النفس البشرية أيضاً شبيهة بالمنجم المطمور الممتلىء بمختلف المعادن والجواهر والفرائد والأصداف والتراب وكل هذه الأشياء والمعادن قد تمازج بعضها ببعض ، وتداخل بعضها فى بعض ، ولا يمكن للناس أن ينتفعوا بها إلا إذا أحسنوا تمييزها ، وتخليص كل صنف من غيره ، حتى يستخدموا كل صنف فيما يناسبه من شئون الحياة ...

وأنت أيها الشاب : لك نفسك كسائر الناس ، وفى نفسك هذه تنطوى أحناؤك على رغبات ونزعات ، وأهواء وعواطف ، وفيها طوائف من الاستعدادات لشئون مختلفة فى هذه الحياة ! فعندك استعداد لكى تكون عمليا ، وعندك استعداد لكى تكون نظريا ، ولك جسم يستطيع أن يشتغل مثل الفلاح ، ولك يد يمكنها أن تنسج أو تكتب أو تدير عجلة السيارة أو توجه دفة السفينة أو تعزف على الآلة الموسيقية ، ولعل هذا القول منى سيجعلك تغتر بنفسك كثيراً ، وتتوهم أنك قادر على كل شيء ، مستطيع أن تصبح بطلا فى كل ميدان ، ولكن هذا وهم خاطىء وفهم فاسد ، فهذه الاستعدادات المختلفة قد أوجدها الخالق فيك لتواجه بها ظروفا خاصة تعرض لك فى بعض المناسبات أثناء حياتك ، وهى فوق هذا متباينة فى الكيف والكم ، فبعضها قليل ضئيل ، والبعض الآخر متوسط القوة ، والبعض شديد كبير . والمهم هنا أن تكون يقظا لبيباً فى معرفة أى هذه الاستعدادات أقوى من سواها وأطغى على ماعداها ، فاذا عرفت ذلك وتأكدت منه كان هدفك الأول فى حياتك هو أن تستغل هذا الاستعداد الطاغى القوى إلى أقصى حد من حدود الاستغلال ، وأن تستخدمه فى وجهته المناسبة له ، حتى تتميز به وتستفيد منه أكبر فائدة فى حياتك

إن كثيراً من الشباب يفشلون فى حياتهم ، ويعجبون لفشلهم مع طول محاولاتهم ، ولو أنهم عرفوا السر فى فشلهم لما عجبوا أو استغربوا ، فقد فشل هؤلاء لأنهم تمسكوا فى حياتهم بخطة لاتناسبهم ، وقصروا أنفسهم على عمل لايلائمهم ، وحاولوا أن يكسبوا عن طريق لم يوهبوا القدرة على المسير فيه ، ولو أنهم استجابوا لعواطفهم ، وأحسنوا توجيه استعدادهم إلى ماخلقوا له لاجتازوا العقبات وبلغوا النجاح ! ! . .

ولا تحسبن أن الاستعداد وحده هو كل شيء فى الحياة . بل لابد معه من العمل والصبر ، والانتفاع بالتجارب واحتمال مرارة الفشل أثناء الطريق مرة ومرات ، فلا بد دون الشهد من إبر النحل !!..

أيها الشاب : ادرس نفسك أولا ، وتبين استعداداها ثانياً ، وأحسن استغلال هذا الاستعداد ثالثاً ، وأبذل أقصى جهدك رابعاً ، وعلى الله بعد ذلك إدراك النجاح ! !

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف